ابن سينا

الشفاء

المنطق

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي

قم المقدسة - ايران ١٤٠٥ هـ ق

ابن سينا

الشفاء

المنطق

٧ - السفسطة

تصدير ومراجعة الدكتور ابراهيم مدكور

تحقيق الدكتور

أحمد فؤاد الإهوانى

نشر وزارة التربية والتعليم

الإدارة العامة للثقافة

بمناسبة الذكرى الألفية للشيخ الرئيس

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي
قم المقدسة - ايران ١٤٠٤ ق

الفهرس

صفحة

السفسطة

المقالة الأولى

المقالة الثانية

تصدير

للدكتور إبراهيم مدكور

تعرب لفظة السفسطة عن أصلها اليونانى، وليس فى مداولها اللغوى ما يؤذن بذم أو تعريض، بل بالعكس كان الإغريق الأول يطلقون "سوفستيس" (السوفسطائى) على كل إنسان عالم أو ماهر على نحو ما. وما إن جاء القرن الخامس قبل الميلاد حتى أخذت هذه الدلالة تتغير شيئا فشيئا، وأصبح السوفسطائيون جماعة من المدرسين الذين يتنقلون من مدينة إلى أخرى ليعلموا الناس الخطابة والإقناع، وفى سبيل الفوز والغلبة لا يترددون فى أن يسلكوا فى الحوار سُبُلا لا تخلو من الخداع والتضليل، وأصبحت السفسطة بابا من أبواب الجدل، وفنا من فنون النقاش يعتمد على ضروب من التمويه والمغالطة.

ويظهر أن هذا المعنى وحده هو الذى عرف فى العالم العربى، فليست السفسطة إلا نوعا من الاستدلال الباطل الذى يقصد إلى تمويه الحقائق، والسوفسطائى من يصطنعها وينكر الحقائق والبديهيات. وقد بلغ الأمر بالفارابى أن ذهب إلى أن هذه هى الدلالة اللفظية للكلمة، فزعم أنها مركبة من "سوفيا" وهى الحكمة، ومن "اسطس" وهو المموه، فمعناها حكمة مموهة، وكل من له قدرة على التمويه والمغالطة بالقول فى أى شىء كان، سمى بهذا الاسم، وقيل إنه سوفسطائى[1].

هناك غلط ومغالطة، ما دام هناك جدل ومحاجة. فالتاريخ القديم سفسطة، ولا تقل عنها سفسطات التاريخ المتوسط والحديث، وفى المناقشات البرلمانية المعاصرة والمرافعات القضائية الحاضرة صور شتى للعب بالألفاظ والتمويه على

---

(١) الفارابى، احصاء العلوم، القاهرة سنة ١٩٤٩، ص ٦٥

السامعين. و إذا كانت أثينا قد اشتهرت بسفسطتها فى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، فما ذاك إلا لأنها ابتليت بطائفة من المحترفين الذين حذقوا هـــذه السفسطة، وعولوا عليها فى كسب قوتهم،وجدوا فى أن يعلموها الناس،وأضحوا خطرا على الفكر والمجتمع .

ولاشك فى أن هذا هوالذى دفع أرسطو إلىدراسة هذه الظاهرة،فحاول — كعادته — أن يجعل من التغليط والمغالطة بابا من أبواب العلم ، وأن يقف عليه رسالة من رسائله المنطقية . وفى ضوء ما توفر لديه من مادة غزيرة أمده بها السوفسطائيون شاء أن يحصر الأغاليط حصرا علميا،و يصنفها تصنيفا منطقيا فردها إلى بابين رئيسيين : أغاليط لفظية ، وأخرى معنوية، ووضع تحت كل باب أنواعا مختلفة. وهذه - وهى محاولة أولى فى بابها - لايمكن أن تجىءمكتملة ولا أن تسلم من النقد والملاحظة؛ ومع ذلك قدّر لها أن تبقى على الدهر ، وأن يؤخذ بها فى التاريخ المتوسط والحديث ، ولا تزال حتى اليوم تفضل ما قام به مناطقة آخرون من تصنيف للمغالطات .

وقد نقل كتاب "تبكيت السوفسطائيين" لأرسطو فيما نقل من كتبه المنطقية إلى اللغة العربية ، وتدارسه النقلة وفلاسفة الإسلام . وكان ابن سينا من أكثرهم عناية به توضيحا وتلخيصا ، ومن أوسع ما كتبه " فن السفسطة " من منطق " الشفاء " و يصدر فيه عن أرسطو محاولا أن يلائم بين أمثلته وأوضاع اللغــة العربية،و إن كان لم يوفق فى ذلك دائما،لعدم إلمامه باللغة اليونانية، وحرص خاصةعلى أن يربط السفسطة ربطا وثيقا بنظرية القياس التى تعتبر دعامة المنطق الأرسطى،واقترح تصنيفا للمغالطات يقوم على ردها إلىمادة القياس،أوصورته أو هما معا . وصادف هـــذا الاتجاه نجاحا من بعده لدى مناطقة المسلمين والمسيحيين ، وهو — كما يبدو — أدخل فى الأرسطية من تصنيف أرسطو نفسه

وكان فى وسع ابن سينا أن يتأمل فى الندوات والمحاورات الإسلامية المحيطة به ، وما أكثرها ، من ردود المعتزلة على الدهريين والملحدين ، وجدل المتكلمين ،

ومجالس دعاة الإسماعيليين ، ونقاش الفقهاء والأدباء ، وخصومة النحاة واللغويين ؛ وفى هذا ولا شك صور عربية خالصة من صور التأثير والإقناع ، أو التمويه والمغالطة ، وقد برز المعتزلة خاصة فى الجدل أيما تبرير ، وكان شيخهم العلاف مضرب المثل فى ذلك . ولكن ما أغنى ابن سينا عن كل هذا ، وهو يجد لدى أرسطو ضالته المنشودة ، وكتابه فى " السفسطة " يضيف دليلا جديدا على مدى تقديره للفيلسوف اليونانى و إعجابه به .

* * *

وقد تولى تحقيقه الدكتور أحمد فؤاد الإهوانى ، وله فى النشر والتحقيق قدم راسخة ، متأن ، دقيق ، يستعرض القراءات المختلفة و يتخير أحسنها ، و يجيد وضع الفواصل وعلامات الترقيم ، و يوضح الغامض من الكلمات ، و يصحح الأعلام التى أخطأ النساخ فى نطقها أو رسمها .

ولم يقف عند التحقيق ، بل قدم له بمقدمة مسهبة عرف فيها بكتاب "تبكيت السوفسطائيين" لأرسطو ، و بيَّن كيف نقل إلى العربية ، وأشار إلى ما فيه من صعوبات لغوية وموضوعية ، ووازن بينه و بين "كتاب السفسطة" لابن سينا ، وكل ذلك فى وضوح وتحليل . ونعتقد أن هذه المقدمة ستعين القارئ على فهم نص ينشر للمرة الأولى .

و إذا كنا ننوه بما بذل الدكتور الإهوانى فى سبيل تحقيق "كتاب السفسطة" من جهد ، وما تذرع به من صبر وجلد ، فإنا نأمل أن يتابع ذلك فى أجزاء "الشفاء" الباقية التى لا تزال تتطلب تعاوننا وتضافرنا .

مقـــدمة

١ — كتاب السفسطة لأرسطو :

وصل منطق أرسطو إلى العرب فى ترتيب معين، و يشتمل على تسعة كتب: إيساغوجى[١] والمقولات ، والعبارة ، والقياس ، والبرهان ، والجدل ، والسفسطة ، والخطابة ، والشعر . « فالسفسطة » هى الكتاب السابع ، وتقع فى «الأورجانون» بعد «الجدل». وترتيب كتب أرسطو — بإجماع الآراء — من وضع متأخر، وليس من عمل المعلم الأول نفسه. وقد انتهى الباحثون المحدثون منذ أكثر من قرن مضى ، أمثال "ڤايتز"[٢] Waitz ، و "بونتز"[٣] Bonitz ، إلى أن كتاب «السفسطة» ليس إلا ملحقا لكتاب «الجدل» ، وأن «الجدل» إذا كان مؤلفا من ثمانية كتب فإن « السفسطة » تؤلف الكتاب التاسع والأخير . ولم يظهر من المحدثين بعد ذلك مَنْ شَكَّ فى هذه الصلة . و إذا كان « الجدل » و « السفسطة » وحدةً من جهة الموضوع ، وكانا يعدان كتابا واحدا ، فإن تأليفهما لم يتم دفعة واحدة . و يرى " روس " Ross أن أجزاء الجدل من الثانى إلى المقالة الثانية من السابع — أى التى تتعلق بالمواضع الجدلية — هى التى ألفت أولا ، وأنها مأخوذة من المباحث التى كانت جارية فى الأكاديمية ، وأنها دونت قبل أن يهتدى أرسطو إلى نظرية القياس .

---

(١) إيساغوجى ، أو المدخل إلى المقولات ، من وضع فرفريوس الصورى وليس من عمل أرسطو ، ولكن العرب ضموه إلى الأورجانون — أنظر الشفاء ، لابن سينا ، المدخل ص ٤ من المقدمة ، المطبعة الأميرية سنة ١٩٥٢

(٢) Waitz : *Aristotelis Organon Graece* Leipzig, 1844-1846, II, p. 528.

(٣) Bonitz : *Index Aristotelicus*, Berlin, 1870, 162 a.

أما الأجزاء : الأول ، والسابع من المقالة الثالثة إلى الخامسة ، والثامن ، نعنى المقدمة والخاتمة ، فقد كتبت بعد اكتشاف القياس ، ولكن قبل تدوين كتاب التحليلات . وأما « السفسطة » فالأرجح أنه بعد « الجدل » وأسبق من «التحليلات» . ويصف "روس" السفسطة بأنه : «ملحق طريف للجدل»[1] An interesting appendix . وإلى مثل هذا يذهب "روبان" Robin من اعتبار الجدل والسفسطة كتابا واحدا ، هو الجدل ، ويقول فى ذلك : « وقد جرت العادة أن يذكر الكتاب التاسع والأخير من الجدل تحت عنوان متميز هو : تبكيت السوفسطائيين »[2] .

وحيث إن القدماء جروا على ترتيب مؤلفات أرسطو ترتيبا معينا يبدأ بالمنطق — أو الأورغانون كما كان يسمى — ثم الكتب الطبيعية ، ثم ما بعد الطبيعة ، فقد وصل كتاب السفسطة إلى العرب منفصلا عن الجدل ، ومستقلا عنه ، ولم ينظر أحد منهم فى مسألة زمان التأليف ، أو قضية الانتحال ، أو صلة الكتب والمقالات بعضها ببعض ، من جهة النقد الداخلى ، كما فعل المحدثون . وأُخذ كتاب السفسطة قائما بذاته ، واشتهر بذلك منذ ذلك الحين .

٢ — نقله إلى العربية :

ولم ينقل الكتاب من اليونانية إلى العربيــة مباشرة ، بل عن السريانية مثل معظم التراث اليونانى . قال ابن النديم فى الفهرست فى معرض الكلام عن كتب أرسطو ما نصه : «الكلام على سوفسطيقا ، ومعناه الحكمة المموهة . نقله ابن ناعمة وأبو بشر متى إلى السريانى ، ونقله يحيى بن عدى من ثيوفيلى إلى

(١) Ross : *Aristotle*, London, 1949, 5th ed. pp. 56-61.

(٢) Robin : *Aristote*, Paris, 1944. p. 16.

العربى . المفسرون : فسر قويرى هذا الكتاب ، ونقل ابراهيم بن بكوش العشارى ما نقله ابن ناعمة إلى العربى على طريق الإصلاح . وللكندى تفسير هذا الكتاب »[1] . ونقل القفطى هذا النص بتمامه عن ابن النديم .

وأثبت مخطوط أورجانون[2] أرسطو الموجود بالعربية أسماء النقلة، مع ذكر ترجماتهم المختلفة. ففى أول الكتاب نجد ما نصه : «سوفسطيقا . بنقل الفاضل أبى زكريا يحيي بن عدى — أعلى الله منزلته — وبنقل أبى على عيسى ابن اسحاق بن زرعة ، و بنقل قديم منسوب إلى الناعمى ، مثبت فى كل صفح ما نقله كل واحد وغيره من المعانى الثابتة فى ذلك الصفح» . ثم يبدأ الكتاب كما يأتى: « نقل أبى زكريا يحيي بن عدى من السريانى، بنقل أثانس من اليونانى. كتاب تبكيت السـوفسطائيين لأرسطوطاليس » . فلم يذكر المخطوط الموجود بين أيدينا " ثيوفيل " الذى نقل الكتاب من اليونانى إلى السريانى ، ولكنه ذكر شخصا آخر هو "أثانس" Athanase الراهب، الذى طلب العلم فى دير قنسرين، وانتهى به المطاف إلى أن أصبح بطريق اليعاقبة فى نصيبين، وتوفى حول عام ٦٩٦ ميلادية. أما ثيوفيل الرهاوى المتوفى حول ٧٨٥ ميلادية ، فقد ازدهر فى خلافة المهدى . ويؤكد الدكتور خليل الجر أنه نقل بعض أجزاء من أورجانون أرسطو[3]. أما الذين نقلوا عن السريانية ومذكورة أسماؤهم فثلاثة : يحيي بن عدى ، وابن زرعة ، وابن ناعمة . وهناك نقل آخر لم يعرف صاحبه ، ويذكر فى المخطوط بهذه العبارة " نقل قديم " أو " ترجمة أخرى " .

---

(١) ابن النديم ، الفهرست ، طبعة القاهرة ص ٣٤٩ — طبعة ليبسك ص ٢٤٩

(٢) وصف الدكتور خليل الجر هذا المخطوط الموجود بمكتبة باريس الأهلية وصفا دقيقا ، وذلك بمناسبة تحقيقه كتاب المقولات على الترجمتين السريانية والعربية — انظر : Khalil Georr
Les Catégories d'Aristote dans leurs versions Syro- Arabes. -Beyrouth, 1948.

(٣) Ibid. p. 31.

وقد نشأ عن تعدد النقلة اختلافات فى الترجمة ، من جهة الاصطلاحات ، ومن جهة مقاربة العبارة للأصل . ونحن ذاكرون عنوان الكتاب مثالا لهذه الاختلافات .

٣ — عنوانه :

جاء فى الترجمة العربية لكتاب السفسطة عنوانات أربعة هى :

(١) « كتاب تبكيت السوفسطائيين » نقل يحيى بن عدى .

(٢) « كتاب سوفسطيقا ، أى التظاهر بالحكمة » نقل أبى على عيسى ابن اسحاق بن زرعة .

(٣) « كتاب أرسطوطاليس فى التبصير بمغالطة السوفسطائية » نقل قديم منسوب إلى الناعمى ، ولست أعلم من أى لغة نقله .

(٤) « كتاب أرسطوطاليس على مباكتة السوفسطائيين » ترجمة أخرى .

أما العنوان فى المخطوطات اليونانية حسب طبعة « بيكر » Bekker ، فهو

Περὶ σοφιστικῶν ἐλέγχων

وهذا العنوان هو الذى نقل إلى اللغة اللاتينية ، مع الاحتفاظ بأصل الكلمتين اليونانيتين ، فقيل Sophistici Elenchi

أما الترجمة الانجليزية فهى Refutations of the Sophists

وأما الترجمة الفرنسية فهى Réfutations des Sophistes

وأصح الترجمات العربية القديمة ، وأقربها إلى النص اليونانى ، ترجمة يحيى ابن عدى ، والترجمة المجهول صاحبها ، ونعنى : « تبكيت السوفسطائيين » . ويحسن

أن نقف بعض الشيء عند لفظة " التبكيت " لأهميتها في الدلالة على موضوع الكتاب ، ولأن فهمها على غير وجهها مدعاة إلى اللبس .

التبكيت مصدر من الفعل الثلاثي «بكت» محركة ، أو من الرباعي «بكت» مشددة . فالتبكيت محركة ، أي غلبه بالحجة ، يقال : « بكته حتى أسكته » . والتبكيت مشددة ، عنفه ، ومنه تبكيت الضمير[1] . وهذا المعنى الأخير هو المشهور المتداول اليوم . ولكن المقصود في هذا المجال هو المعنى الأول ، فالمباكتة مغالبة الخصم بالحجة و إفحامه .

والذين قالوا بالمغالطة ابتعدوا عن المعنى الأصلي للتبكيت ، وعن عنوان الكتاب ، وذهبوا إلى ما يفعله السوفسطائي من مغالطة خصمه رغبة في التغلب عليه . وكذلك الذين فسروا التبكيت بأنه « التظاهر بالحكمة » ، أو « الحكمة المموهة » ، فقد نظروا إلى موضوع الكتاب كما جاء في استهلاله ، حيث يميز أرسطو بين الحكمة الحقيقية والحكمة المموهة . ومن هنا جاء في اللغة العربية أن السفسطة هي المغالطة ، وهي التمويه . ولكن المحقق المدقق ينبغي أن يفصل بين هذه الاصطلاحات الثلاثة ، لأن لكل منها معنى خاصا .

ولما كان ابن سينا قد اختار لعنوان كتابه لفظة « السفسطة » فقط ، فهذا دليل على ابتعاده عن روح كتاب أرسطو ، الذي يدل على مغالبة السوفسطائيين بالحجة الصحيحة ، وإيثاره أن يكون موضوع الكتاب هو البحث في الأغاليط التي يمكن أن يقع فيها المفكر ، وكيف يمكن أن يعمل على التوقي منها . وهذا هو الذي انتهى إليه مبحث المناطقة في الشرق والغرب على السواء .

---

(1) عن أقرب الموارد ، والقاموس .

٤ — صعوبته :

ضربنا المثل أن كل ناقل من الأربعة وضع للعنوان ترجمة تختلف عما وضعه الآخر. وإذا كان هذا هو الحال فى العنوان ، فإن ترجمة الكتاب كله تفصح عن اختلافات تدل على كثير من الصعوبات التى عجز النقلة عن حلها — لأنها لا تحل — مما أدى إلى غموض النص العربى فى كثيرمن المواضع . ويرجع ذلك إلى صعوبة النص فى أصله اليونانى ، ثم فى ترجمته السريانية ، وإلى أن أرسطو يستشهد بأمثلة من أسرار اللغة اليونانية تؤدى إلى اللبس والإبهام والتضليل، فإذا ترجمت إلى العربية لم يتضح وجه المغالطة فيها لاختلاف طبيعة اللغتين . من هـذا ما ذكره أرسطو [1] من أن معظم المشاغبات الظاهرة ترجع إلى لفظة " هـذا " τόδε ، وكذلك حين لايدل حرف الإشارة على المذكر أو المؤنث . وضرب مثلا بأسماء ثلاثة تختلف فى التذكير والتأنيث هى :

كاليوب ، وخشب ، وقورسيڤوس ، كاليوب مؤنث ، وقورسيڤوس مذكر ، وخشب لا مذكر ولا مؤنث ؛ ويتبع ذلك تصريف الكلمة ووضعها فى العبارة . ولا حاجة بنا إلى ذكر كل ما ورد فى نص أرسـطو ؛ ولكننا نشير إلى أن التراجم العربية القـديمة لم يستطع أصحابها إلا أن يضعوا اللفظة اليونانية بحروف عربية فيقولون : " طوطو " ؛ وكذلك الترجمة الفرنسية فإنها تضع هـذه الألفاظ باليونانية ، نعنى " هـذا " وأوضاعها المختلفة باختلاف طبيعة الكلمة ، وطبيعة العبارة ؛ مثل τοῦτο و οὗτος و τοῦτον ؛ لأنها لا تترجم . أما ابن سينا فقد ضرب صفحا عن هذا الموضع ، ولم يشر إليه فى كتابه .

---

(١) ١٧٣ ب ، ٢٥ — ٤٠

وقد فطن ابن سينا لهذا الفرق بين اللسانين ، وشق عليه أن يفهم الأمثلة المضروبة فى اليونانية ، كما جاء فى هذا المثال الدال على الغلط لاختلاف مفهوم التركيب . ونحن ننقل ما ذكره ابن سينا : " العدو لى يتغصب ، والمقاوم لى يأخذ . وهذا مثال يحسن فى غير لغة العرب ... "[1] وأصل المثال فى نص أرسطو[2] τὸ βούλεσθαι λαβεῖν μετά Πολμίας وهو فى الترجمة اللاتينية Velle capere me hostes ، وهذه العبارة قد تفهم على وجهين إما hostes capere me و إما me capere hostes . والمعنى " ادع لى أن أقبض على العدو " . ومن هنا جاءت قراءتنا للفظة " يتغصب " أى يؤخذ قهرا .

ولا نريد أن نتتبع جميع المواضع التى لم يحسن الشيخ الرئيس فهمها ، فليس هذا غرضنا ، وبخاصة لأن كتابه ليس ترجمة لنص أرسطو . إنما الذى نريد أن نبينه هو أن كتاب أرسطو فى السفسطة من الكتب الدقيقة التى لا يمكن أن تفهم حق الفهم إلا إذا كان الباحث ملما باللغة اليونانية إلماما يمكنه من الاطلاع على الأسرار اللغوية التى يرمى إليها المعلم الأول . أما كتب أرسطو المنطقية الأخرى كالمقولات أو التحليلات ، فلأنها تبحث فى أصول عامة ، وفى قوانين الفكر مع قطع النظر عن الاعتبارات اللفظية ، فقد أمكن للعرب أن ينقلوها ، وأن يحسنوا التعليق عليها ، ويشرحوها ، على خلاف كتاب السفسطة الذى لم يتناوله ابن سينا بالإفاضة ، كما فعل فى الكتب السابقة .

---

(١) السفسطة ، ص ١٠

(٢) ١٦٦ ا ، ٧ — وفى الترجمات القديمة العبارة غير مفهومة كذلك ، ففى نقل يحيى بن عدى "ألا يريدون أن يأخذوا المحارب" . وفى نقل ابن زرعة "يريدون المقاوم لى يأخذون" .

أضف إلى ذلك أن أرسطو ألف كتابه للرد على السوفسطائيين الذين كانوا حقيقة واقعة فى زمانه، وكانت لهم، وبخاصة فى عصر سقراط وأفلاطون، فلسفة وأدب واتجاهات يتميزون بها دون غيرهم. فالكتاب ملائم لروحهم، أو هو مرآة للحياة اليونانية فى ذلك العصر، يفهمه اليونانى، ويجد غير اليونانى صعوبة فى فهمه. ولهذا السبب نفسه كان من الصعب نقل كتاب الشعر لأرسطو، وذلك لاتصاله بالأدب اليونانى وخصائصه المباينة للأدب العربى.

٥ — موازنة بين كتابي أرسطو وابن سينا :

وضع ابن سينا لنفسه بإزاء أرسطو خطة تجمع بين الاتباع والابتداع، ودستورا ينص على المحاذاة ولا يمنع المباراة. فقد صرح فى مقدمة "الشفاء" بحسب عبارته : « واجتهدت فى اختصار الألفاظ جدا، ومجانبة التكرار أصلا ... ولا يوجد فى كتب القدماء شيء يعتد به إلا وقد ضمناه كتابنا هذا .... وقد أضفت إلى ذلك مما أدركته بفكري، وحصلته بنظري، وخصوصا فى علم الطبيعة وما بعدها، وفى علم المنطق »[1]. وفى موضع آخر : «ولما افتتحت هذا الكتاب ابتدأت بالمنطق، وتحريت أن أحاذى به ترتيب كتب صاحب المنطق، وأوردت فى ذلك من الأسرار واللطائف ما تخلو عنه الكتب الموجودة»[2]. ويؤيد ذلك تلميذه الجوزجانى حيث يقول : «وهناك أشتغل بالمنطق، وتمكن من الكتب، فعرض من ذلك أن حاذاها، وجري على ترتيب القوم فيها، وتكلم على ما استنكره من أقوالهم، فطال المنطق»[3].

---

(١) ابن سينا، الشفاء، المدخل، المطبعة الأميرية، ١٩٥٢، ص ٩ — ١٠

(٢) المرجع السابق، ص ١١

(٣) المرجع السابق، ص ٣

وفى موضع آخر : " وسيجد المتأمل لهـــذا الكتاب بعين الاعتبار من النكت والنوادر والتفريعات والبيانات ما لا يجده فى كتب السالفين »[1] .

أما الاتباع والمحاذاة فليس ذلك قاصرا على ترتيب الكتب المنطقية ، بل على ترتيب الموضوعات فى داخل كل كتاب . ويكاد يكون كتاب " السفسطة " تلخيصا أمينا ، وإيرادا للأمثـلة ذاتها التى ذكرها أرسطو . ويعترف الشيخ فى آخر الكتاب بأن المعلم الأول أوفى على الكمال ، ودعا الناس إلى تأمل : « ما قاله هـذا العظيم ... هل ورد من بعده إلى هذه الغاية مَنْ أخذ عليه أنه قصر ، وهل نبغ من بعده من زاد عليه فى هذا الفن زيادة »[2] . فليس لنا بعد ذلك أن ننتظر منه خروجا على تعاليم أرســطو ، أو " شق عصاه " فى الشفاء .

أما الابتداع والمباراة فيمكن تلخيصها فى هذه العبارات التى ننقلها عن ابن سينا : « وأما مقاومة السوفسطائيين فلم يوف السالفون منها شيئا يعتد به ، لقلة الحاجة إليه ؛ بل لم يكن عندهم منها شىء لا فى الأصول ولا فى الجزئيات نرثها إياهم أصلا . ومع ذلك فإن الحاجة قلت إلى صناعة السوفسطائية ، فلم يتم عقودها فضلا عن حلولها ، بل تكلموا فى أمثلة قليلة جزئية ، وأشياء تناسب الخطابة . لكنا بسطنا القول قليلا ، ونظرنا فى وجوه الأغاليط ، وجمعناها ، وجردناها صناعة كلية »[3] .

يفخر ابن سينا فى هــذه العبارات أنه جعل السفسطة "صناعة كلية" ، لا مجرد رد على السوفسطائيين ، باعتبار أن الحاجة قلت إلى مثل ذلك . وهو

(1) المرجع السابق ، ص ٤

(2) السفسطة ، ص ١١٤

(3) السفسطة ، ص ١١٢

يلتقى مع أرسطو فى هذا المعنى الذى سبق أن نص عليه المعلم الأول فى خاتمة كتابه ، ولكنه يضيف إليه ، و يفترق عنه بجعل الأغاليط صناعة كلية . ذلك أن أرسطو يعترف بأن السوفسطائيين مهدوا الطريق لفن الخطابة ، وضرب مثلا بثيسياس ، وثراسيماخوس من بعده ، وثيودورس من بعد ثراسيماخوس ، « على العكس فيما يختص بهذا البحث — يريد السفسطة — فلا يمكن القول إن بعضه كان موجودا من قبل ، و بعضه الآخر لم يكن موجودا ، إذ لم يوجد فى الواقع شيء منه أصلا »[1] . ولكن أرسطو يلحق السفسطة بالجدل ، على حين يجردها ابن سينا صناعة كلية . و يبدو أنه محق فى قوله ، لأن فلاسفة العرب السابقين عليه ، وأبرزهم الكندى والفارابى ، لم يُؤْثر عنهما وضع أساس هذا الفن السوفسطائى جزءا من جملة المنطق . حقا ألف الكندى كتابا " فى الاحتراس عن خدع السوفسطائية "[2] ، وجاء عند الكلام على كتب أرسطو أن "للكندى تفسير هذا الكتاب "[3] . وللفارابى كذلك " كتاب شرح المغالطة " و " كتاب المغالطين "[4] ، غير أن هذه الكتب مفقودة ، ولذلك لا يمكن الحكم أقام الكندى والفارابى بمجرد تفسير لسفسطة أرسطو ، أم كان لهما رأى مستقل . مهما يكن من شيء فإن كليهما مقل لا يميل إلى الإطناب ، كما نعرف من كتبهما الباقية بين أيدينا . هذا إلى أن مؤرخى العرب نقدوا الكندى بأنه لم يحسن فهم منطق أرسطو[5] ، وورث ابن سينا فلسفة الفارابى وتقدم بها إلى الأمام ، و يسرها على الأفهام .

---

(١) سفسطة أرسطو ١٨٣ ب ، ٣٢ — ٣٦ — وفى الترجمة القديمة " فأما هذه الصناعة فليس إنما كان بعضها موجودا و بعضها غير موجود ، لكن لم يكن منها شيء موجود ألبتة " انظر منطق أرسطو — حـ ٣ ص ١٠١١

(٢) القفطى طبعة أوربا ص ٣٦٩

(٣) المرجع السابق ص ٣٧

(٤) المرجع السابق ص ٢٧٩ — ٢٨٠

(٥) القفطى ص ٣٦٧ — ٣٦٨

وإذا وازنا بين كتابى المعلم الأول والثالث رأينا خلافا فى الحجم وترتيب الفصول . يقع كتاب أرسطو فى أربعة وثلاثين فصلا ، ويبدأ بالفرق بين القياس والتبكيت ، وينتهى بخاتمة عامة . أما ابن سينا فقد قسم كتابه مقالتين ، وضع تحت الأولى أربعة فصول ، وتحت الثانية ستة . ومع ذلك ليس الخلاف إلا ظاهرا فقط ، لأن ما فعله ابن سينا هو إدماجه بعض الفصول فى بعضها الآخر . أما نسق التأليف فإنه مطابق لما جرى عليه أرسطو ، ذلك النسق الذى يبدأ بتعريف التبكيت والفرق بينه وبين القياس الصحيح ؛ ثم بيان أنواع الاستدلال البرهانى والجدلى والامتحانى والمشاغبى ؛ ثم الأغراض الخمسة للقياس السوفسطائى ؛ ثم التبكيت الداخل فى اللفظ والداخل فى المعنى ؛ ثم طريقة حل المغالطات . وعلى هذا الترتيب سار الشيخ فى كتابه .

وفرق آخر بين الكتابين أن ابن سينا ينبرى للدفاع عن أرسطو ، ويغالى فى التعصب للمشائية ، ويبسط لسانه فى أفلاطون ، والذين يتبعون مذهبه . نقول : "يبسط لسانه" ونحن نعنى ذلك ، إذ يكفى أن تتأمل ما قاله فى الفصل الأول فى صدر الكتاب : « ولقد رأينا وشاهدنا فى زماننا قوما هذا وضعهم ، فإنهم كانوا يتظاهرون بالحكمة ، ويقولون بها ، ويدعون الناس إليها ، ودرجتهم منها سافلة . . . وكثير منهم لما لم يمكنهم أن ينتسب إلى صريح الجهل ، ويدعى بطلان الفلسفة من الأصل . . . قصد المشائين بالثلب ، وكتب المنطق والبانين عليها بالعيب ، فأوهم أن الفلسفة أفلاطونية ، وأن الحكمة سقراطية ، وأن الدراية ليست إلا عند القدماء من الأوائل»[1] .

---

(١) السفسطة ص ٤ — ٥

و يبدو أن ابن سينا كان ينتهز الفرصة ليطعن على معاصريه ومنافسيه من الفلاسفة الذين يعارضون المشائية ، و يأخذون بالأفلاطونية . غير أن تاريخ هذا العصر مع الأسف مجهول وغير واضح ، ولسنا نعرف على التحقيق من هم أولئك الأفلاطونيون المعاصرون للشيخ ، ولو أنه فى إحدى رسائله إلى أبى جعفر الكيا يفصح عن أنهم جماعة من البغدادية ويصفهم بالضعف والجهل والتقصير و يقول عنهم : "البله النصارى من أهل مدينة السلام"[1] . وفى رسالة للشيخ " إلى علماء بغداد يسألهم الإنصاف بينه و بين رجل همذانى يدعى الحكمة" يزعم ابن سينا أنه صادف بمدينة همذان : « شيخا وافر العلم ، إلا أنه لما اكتشف مذاهبه صادفها غريبة عجيبة مباينة لما فهم عن الأقدمين . أما المنطق فمنطق آخر . . . و إذا تكلم تكلم بنوع آخر من المقاييس يراها منتجة لمطلوبها ، وهى غير منتجة لها بالفعل ولا بالقوة القريبة. . . »[2] . غير أننا نجهل شخصية هذا الهمذانى الذى أخذ من أفواه " معشر الحكماء بمدينة السلام " .

الذى يعنينا أن أرسطو لم يتعرض لأفلاطون فى كتابه، ولو أنه ذكر سقراط فى آخر الكتاب بمناسبة طريقته التى كان يتبعها من سؤال محاوره دون أن يجيب هو زاعما أنه جاهل ، وكان غرضه إيقاع محاوره فى التناقض . ومع ذلك لم يذهب أرسطو إلى أن سقراط كان مغالطا .

أما ابن سينا فإنه يتعرض لأفلاطون ، و يصرح باسمه ؛ ففى افتتاح المقالة الثانية يقول : « قال المعلم الأول : والذى يؤثره بعض الناس من قسمة الأقاويل — و يعنى به أفلاطون — أن بعضها موجود بحسب الاسم ،

---

(1) انظر عبد الرحمن بدوى — أرسطو عند العرب ، حـ ١ ، ١٩٤٧ ص ١١٩ — ١٢١

(2) يحيى مهدوى ، فهرست مصنفات ابن سينا ، تهران ١٣٣٣ ، ص ١١٨

و بعضها بحسب المفهوم . . . »[1] . و يقول بعد ذلك بقليل : « وأما من فعل فعل أفلاطون فأخذ يتكلم فى السوفسطيق ، ولم يحصل القياس أولا ، فقد عمـــل هذرا . . . . »[2] . و يبدو أن ابن سينا لم يفطن إلى أن محاورة « السوفسطائى » لأفلاطون ليس الغرض منها الكلام فى السفسطة و بيان وجوه الأغاليط ، وظن أنه ما دام عنوانها كذلك، فكان ينبغى على أفلاطون أن يتكلم فيها عن المغالطات، كما فعل أرسطو فى كتاب السفسطة. و يؤيد ذلك ما ذكره ابن سينا فى ختام الكتاب حيث يقول : « والذى عمـــله معلمه وسماه « سوفسطيقا » حاد فيه عن الواجب ، وقصر عن الكفاية . أما الحيد فخلطه المنطق بالطبيعى والإلهى . . . »[3]. وقد غاب عن بال ابن سينا أن محاورات أفلاطون كانت تلبس صورة فنية خاصة، وكان يتنقل فيها من موضوع إلى آخر بحيث يصعب الأخذ بافتتاح المحاورة أو اسمها دليلا على موضوعها . هذا إلى أن عنوان المحاورة هو السوفسطائى ، لا السوفسطيقا كما وهم ابن سينا ، وهى تبحث فى منهج القسمة الذى كان متبعا فى الأكاديمية . ولعل الشيخ الرئيس أراد أن يأخذ جانب أرسطو الذى اكتشف القياس ، فغالى فى الطعن على أفلاطون ، ولذلك قال إن الشغل يجب أن يكون « مصروفا إلى أن يعلم ما القياس الحق ، وما المظنون . فهذه الأشياء إنما ينحو بها المعلم الأول نحو إبانة أن الرجل الذى يدعى أنه معلمه لم يحسن الكلام فى المنطق على الوجه الذى يجب ، ولا بين المغالطات البيان الذى ينبغى . وقد صدق : فإن معلمه قليل الإجداء فيما يصفه و يضعه فى العلوم المنطقية . . . . »[4] . والمقصود « بالرجل الذى يدعى أنه معلمه » أفلاطون، وهذه طريقة ابن سينا للحط من شأن مخالفيه.

(1) السفسطة ، ص ٤٥
(2) السفسطة ، ص ٥٠
(3) السفسطة ، ص ١١٤
(4) السفسطة ، ص ٥٦ — ٥٧

وكلما جاء موضع لم ينص فيه أرسطو على صاحب الرأى ، نسبه ابن سينا إلى أفلاطون . كما يقول : « وقد حكى المعلم الأول أن بعض الناس — وأظنه يعنى المدعى له أنه معلمه — حل ذلك بأن قال : فرق بين قولنا يفعل بحسب ما يمكنه ، وقولنا : إنه يفعل لا محالة بحسب ما يمكنه شيئا »[1] . وابن سينا يخطئ فى ظنه أن أفلاطون هو صاحب الحل ، لأن كتاب السفسطة لأرسطو من تآليفه المتأخرة التى كتبها — كما ذكرنا — بعد اكتشافه القياس ، وبعد موت أفلاطون . ولم تكن هذه المسائل المنطقية مما تناولها البحث فى الأكاديمية .

وفرق ثالث بين الكتابين أن أرسطو كان قريب عهد بالسوفسطائيين ، ومن المأثور أنه كان يلقى وهو يطلب العلم فى الأكاديمية دروسا فى الخطابة يعارض بها مدرسة " إيسقراط " وأغراضه ومنهجه ، وكان إيسقراط قد ورث الغرض والطريقة عن شيوخه من أمثال جورجياس وبروتاجوراس . فالكتاب إحصاء جامع لتمويه السوفسطائيون وخدعهم ، والطعن على طريقتهم فى التعليم ، أولئك السوفسطائيين الذين كانوا يتناولون الأجر على التعليم ، ويدربون تلاميذهم على المشاغبة والمماراة ، ويلقنوهم نماذج محفوظة يزهون بها على الخصوم ، مما هو شبيه بفن جورجياس[2] . ومن أجل ذلك قسم أرسطو المغالطات قسمين : لفظية ومعنوية ، وكانت المغالطات الناشئة عن استعمال الألفاظ المشتركة من أعظم ما يعتمد عليه السوفسطائيون . وهذا هو السبب فى أن سقراط بدأ بامتحان الألفاظ ، وتحليل المعانى الكلية ، للوصول إلى الحق الثابت . ومن هنا نشأت جماعة تذهب إلى أن جميع أنواع المغالطات يمكن ردها إلى الألفاظ ، وقد ناقضهم أرسطو ، وتبعه ابن سينا فى ذلك .

(١) السفسطة لأرسطو ١٨٣ ب ، ٣٠ — ٣٧
(٢) السفسطة ، ص ٨٧ . وانظر أيضا ص ٥٦ ، ٩٥

ولما كان جو كتاب أرسطو مشبعا بالرد على السوفسطائيين ، وكانت طريقة السوفسطائيين هى الخطابة والمحاورة ، فإن معظم الأمثلة التى يضربها أرسطو تلائم هذا الجو ، نعنى جو الحوار بين شخصين ، فإذا سلم المجيب بما يضعه السائل من مقدمات ، فقد وجب أن يسلم بالنتيجة التى تفضى إليها هذه المقدمات .

ولم يكن فى زمان ابن سينا سوفسطائيون ، ولذلك لم تكن هناك حاجة إلى هذا النوع من التأليف . ومع ذلك فقد ظهرت فى الإسلام جماعة أخرى يختلف أصحابها عن السفسطائيين من جهة أغراضهم ومنهجهم ، ولكنهم يفترقون و إياهم فى التميز عن الفلاسفة . وهؤلاء هم المتكلمون فى الإسلام ، واللاهوتيون فى المسيحية . وقد صرح ابن سينا فى خلال كتابه بأن : « هذا هو الرسم فى زماننا هذا عند المشاغبة الذين يسمون متكلمين »[1] . وذلك عند الكلام عما يفعله السائل المغالط من غلط فى الكلام حتى تخفى النتيجة . وهذا هو الموضع الوحيد الذى تعرض فيه الشيخ للمتكلمين بالطعن ، وسماهم مشاغبة .

ثم إن أرسطو كان يعارض بكتابه جماعة أخرى خلاف السوفسطائيين ، هم أصحاب الجدل بمعنى الكلمة ، ونعنى بهم الإيليين ، وأبرز ممثليهم زينون الذى حيرت حججه فلاسفة زمانه ، وهى حجج مشهورة معروفة فى امتناع الحركة والكثرة ، والاعتماد على فكرة انقسام المكان والزمان إلى ما لا نهاية له ؛ وكان لا بد أن تدحض هذه الحجج بالمنطق ، وأن يبين فسادها ببيان المغالطات فى القياس . وهذا ما فعله أرسطو ، وضرب المثل فعلا بزينون فى أكثر من موضع. وهذا هو السبب الذى من أجله ألحق كتاب السفسطة بالجدل ، لأنه

---

(1) السفسطة ، ص ٧٥

يبين فساد الأقيسة التى تعتمد على مقدمات مشهورة وليست يقينية . ونحن نعلم أن أرسطو قسم الاستدلال أربعة أنواع : البرهانى ، والجدلى ، والامتحانى ، والمشاغبى . ولكن الجدلى والامتحانى لا يخصان أى علم معين، بل ينطبقان على كل شىء ، لأن جميع الصناعات تستخدم مبادئ مشتركة . ومن ثم كان جميع الناس ، حتى العامة والجهال ، يستخدمون هذين الضربين من الاستدلال الجدلى والامتحانى ، وهم يستخدمون تبعا لذلك التبكيت[1] . وهذا هو السر الحقيقى فى إلحاق كتاب السفسطة بكتاب الجدل . وكان هذا العمل من أرسطو رد فعل على السوفسطائيين الذين أفسدوا بالخطابة عقول اليونانيين ، وأدى منهجهم العقلى إلى اعتقاد آراء فاسدة فى الأخلاق والسياسة.

ولم تكن هذه الظروف الاجتماعية موجودة فى زمان ابن سينا ، فقد انقضى عهد السوفسطائيين من قديم ، وانتقلت الفلسفة من الحوار الشعبى فى الأروقة والملاعب والبساتين ، وانحصرت فى داخل جدران المدارس ، وأصبحت صناعة فئة خاصة تتدارس فى الكتب . إنها الفلسفة المدرسية التى تعتمد على احتذاء كتب أرسطو بوجه خاص وتتعقبها بالشرح والترتيب لغرض التعليم والتلقين . وفى هذا الجو الجديد ينبغى أن نفهم كتاب السفسطة لابن سينا ، فيتسنى لنا أن نفهم ماذكره من قبل من أنه نظر فى وجوه الأغاليط ، وجمعها وجردها عن المواد صناعة كلية . وبذلك أصبحت السفسطة باباً من أبواب المنطق فى جملته ، لا مجرد ملحق للجدل .

وابن سينا هو فيما نعرف أول مناطقة العرب الذين وضعوا السفسطة هذا الموضع من المنطق ، ثم جرى العرف على ذلك إن فى الشرق أو الغرب حتى الآن .

---

(1) السفسطة لأرسطو ١٧٢ أ ، ٢٠ — ٤٠ وما بعدها

٦ — أنواع المغالطات :

قسم أرسطو المغالطات قسمين : لفظية ومعنوية ، وظل تقسيمه عماد المناطقة منذ عهده حتى الفلسفة الحديثة، حين حاول جون ستيورات "مل" أن يقسم المغالطات قسمة جديدة ؛ وكذلك حاول غيره . ومع ذلك لا يزال تقسيم أرسطو مأخوذا به باعتبار أنه أفضل ما أمكن الوصول إليه . فقد رأى المتأخرون من المناطقة — كما يقول "روس" — أنه من الضرورى اتباع الخطوط الرئيسية فى علاجه للموضوع ، وعند ما حاولوا الانحراف عن هذه الخطوط لم يصلوا إلى نتيجة أفضل[١] . ولا تزال كتب المنطق حتى اليوم تأخذ بما وضعه المعلم الأول ، وتستعمل الاصطلاحات التى وضعها ، ولو أنها تقتصر من أنواع المغالطات التى ذكرها أرسطو على أهمها[٢] .

وسوف نذكر قائمة هذه الأنواع ، مع ذكر الاصطلاح الذى استعمله ابن سينا ، وما يقابله باليونانية ، وباللاتينية .

(أ) التبكيت الداخل فى اللفظ — Παρὰ τὴν λέξιν — Fallaciae in dictione

(١) اشتراك الاسم — Παρὰ τὴν ὁμωνυμίαν — Aequivocatio

(٢) المماراة — Παρὰ τὴν ἀμφιβολίαν — Amphibologia

(٣) التركيب — Παρὰ τὴν σύνθεσιν — Compositio

---

(١) Ross : *Aristotle*, p. 61

(٢) انظر مثلا Morris Cohen and Ernest Nagel, *An Introduction to Logic and Scientific Method*, London, 1949.

Παρὰ τὴν διαίρεσιν — (٤) القسمة
Divisio

Παρὰ τὴν προσῳδίαν — (٥) الإعجام
Accentus

Παρὰ τὸ σχῆμα τῆς λέξεως — (٦) شكل اللفظ
Figura dictionis

ἔξω τῆς λέξεως — (ب) المغالطات التي تقع بحسب المعاني
Fallaciae extra dictionem

Παρὰ τὸ συμβεβηκός — (١) ما بالعرض
Accidentis

Παρὰ τὸ ἁπλῶς ἤ λέγεσθαι — (٢) سوء اعتبار الحمل
A dicto secundum quid ad dictum simpliciter

Παρὰ τὴν τοῦ ἐλέγχου ἄγνοιαν — (٣) قلة العلم بالتبكيت
Ignoratio Elenchi

Παρὰ τὸ ἐν ἀρχῆ λαμβάνειν — (٤) المصادرة على المطلوب الأول
Petitio Principii

Παρὰ τὸ ἑπόμενον — (٥) إيهام عكس اللوازم
Consequentis

Παρὰ τὸ μὴ αἴτιον ὡς αἴτιον — (٦) جعل ماليس بعلة علة
Non causa pro causa

(٧) جمع المسائل الكثيرة فى مسألة واحدة
Παρὰ τὸ τὰ δύο ἐρωτήματα ἓν ποιεῖν
Plurium Interrogationum

لاحظ أرسطو نفسه أن تصنيفه ليس كاملا ، لأنه لم يستوف جميع أنواع المغالطات ، و يرجع ذلك إلى أن عدد العلوم لايتناهى ، هذه العلوم التى تستند إلى الاستقراء . وفى ذلك يقول : « لاينبغى أن نحاول إحصاء عدد المواضع التى تقوم عليها مغالطة من نروم ردهم قبل أن يتم لنا العلم بكل شىء . غير أن هذه المعرفة الكلية لايمكن أن تكون موضـــوعا لتعليم واحد ، إذ مادام عدد العلوم لايتناهى ، فبراهينها لاتتناهى كذلك »[1] يريد أن يقول إنه من المستحيل قبل أن نبلغ العلم الكلى والبراهين الكلية أن نحصى فى كل علم أغاليط أولئك الذين نبغى تبكيتهم . وهذا الاحصاء عمل فوق طاقة الإنسان . لذلك ينبغى الاقتصار على المبادئ المشتركة المتصلة بالجدل ، لأن الجدل هو العلم الخاص بهذه المبادئ[2] . وهذا المعنى هو الذى بسطه ابن سينا بقوله : إن العلم بالجزئيات لايتناهى ، أو بحسب عبارته : «ولا تظن أن هذه القوانين إنما تتم لك إذا علمت كل موجود ، ونظرت فى كل خطأ وصواب ، فإن ذلك لايتناهى . بل إنما تتم لك إذا علمت الأصول والقوانين التى تنتزع من أمورها ، وتكون سائرها على قياسها . وأنت تعلم أن الجزئيات من التبكيتات البرهانية والجدلية غير متناهية»[3] .

وحاصل كلام أرسطو ، ثم ابن سينا من بعده ، أن المغالطات تنحصر أو يمكن أن تنحصر فى القياس ، ولا يمكن ذلك فى الاستقراء . ولذلك عنـــد ما أراد "جون ستيوارت مل" أن يضع أساسا جديدا للمغالطات نظر إلى الاستقراء ، وهو

---

(1) الفصل التاسع ١٧٠ أ ، ٢٠ — وتجرى ترجمـــة يحيى بن عدى كما يأتى : « فأما سائر وجوه التبكيت والتهجين فى الكلام فليس ينبغى لنا أن نتعاطى معرفتها قبل العلم بجموع الأشياء ، وذلك لا يكون لصناعة واحدة ، وذلك أن الصناعات كثيرة و بغير نهاية »

(2) من تعليق " تريكو " فى ترجمته لسفسطة أرسطو .

انظر Aristote : *Organon* VI, Traduction par Tricot, Paris, 1950, p. 39.

(3) السفسطة ، ص ٤٠

منهج البحث الموصل إلى كسب العلوم المختلفة . ويرجـــع ذلك إلى اختلاف المذهبين اللذين يقيم عليهما أرسطو و"مل" منطقيهما . ذلك أن فلسفة أرسطو عقلية تستمد الحق من المبادئ الأولى الموجودة فى العقل ، وفلسفة"مل"حسية تعتمد على المشاهدات والتجارب . ومن هنا وضع "مل" تقسيمه للأخطاء على أساس الاستقراء الذى يبدأ بالملاحظة ، ثم بالتعميم للوصول إلى القوانين العلمية ، وكان أهم المغالطات عنده هى تلك الأخطاء الخاصة بالملاحظة Fallacies of observation ، وهى أخطاء تتلاءم مع النظرة التجريبية للعلم[1] . والحال كذلك فى المنطق الرياضى الحديث ، ففيه مغالطات تختص به ، وتتلاءم مع هـــذا النوع من المنطق . فإذا كان أرسطو قد اعترف بأن تصنيفه ليس كاملا ، فذلك يرجع إلى بنـاء منطقه على مذهب ميتافيزيقى معين ، هو الذى أخذ به ابن سينا .

الملاحظة الثانية على تصنيف المغالطات ، هى إمكان اعتبار المغالطة الواحدة واقعة تحت أكثر من قسم . وقد فطن أرسطو إلى ذلك فضرب مثلا بالتبكيت الناشئ عن سوء اعتبار الحمل ؛ كقولنا إن الشئ قد يكون ضعفا وليس ضعفا فى آن واحد ؛ وذلك إذا أخذنا الضعف مع اختلاف الزمان ، أو تارة باعتبار الطول وأخرى باعتبار العرْض ؛ وهذا النوع من المغالطة يمكن أن يدخل فى المغالطات اللفظية[2] . ويعترف ابن سينا كذلك بأن المغالطة الواحدة يمكن اعتبارها تحت أكثر من قسم . مثال ذلك عندما تكلم على قلة العلم بالتبكيت ، قال : «ولا يبعد أن يدخل هذا الموضع فى المغالطات اللفظية ، من جهة أن المغالطة وقعت فى اللفظ لتقصير فيه وإيهام معنيين ، وإن كان قد يدخل فى المغالطات فى القياس ،

---

(1) انظر *Joyce, Principles of Logic* ؛ *Mill, System of Logic*

(2) أرسطو ١٦٧ ا ، ٢٥ — ٣٥

من جهة أن القياس فيه على غير المطلوب[1]» . وهذا يوافق ما ذهب إليه أرسطو حين زعم أن جميع أنواع المغالطات يمكن أن ترد إلى نوع واحد هو الجهل بالتبكيت Ignoratio Elenchi [2]. وقد كتب كثير من المحدثين ينقدون تصنيف أرسطو، فقال الدكتور إبراهيم مدكور : إن من عيوب هذا التصنيف ذكر أنواع من المغالطات ليست جارية فى الاستعمال، وإغفال أنواع أخرى على شيء من الأهمية، وأرسطو نفسه يعترف بأنه ربما كانت هناك مغالطات غير التى أشار إليها ، وفوق ذلك هو تصنيف متعسف، ويمكن رد جميع الأنواع إلى الجهل بالتبكيت ؛ إلى أن قال : « إن ابن سينا بدلا من تعديله تصنيف أرسطو يعتمد عليه ، و يدور حوله ، ولا يضيف إليه جديدا . وقد حاول بعض المناطقة المحدثين أن يضعوا تصنيفا جديدا للمغالطات يخالف ما وضعه أرسطو، ولكنهم قل أن يصلوا إلى نتيجة أكثر إرضاء[3]» .

و يرجع اضطراب أرسطو إلى أنه نظر إلى المغالطات من زوايا متعددة . فهو يبدأ كتابه بقسمة الاستدلال قسمين حق وظاهر ، وأن السفسطة هى الاستدلال الذى يبدو عليه ظاهر الحق ، وليس حقا ؛ وذلك إما عن قصد وتمويه من السوفسطائى المغالط ، وإما عن جهل بالقياس الصحيح المنتج . وفى الفصل السادس يضيف إلى هذا الأساس فى المغالطات أساسا آخر هو الجهل بالتبكيت . وقبل ذلك فقد اتخذ أساسا ثالثا هو قسمة المغالطات قسمين أحدهما لفظى ، والآخر خارج اللفظ أو معنوى .

---

(١) السفسطة ، ص ٢٢

(٢) الفصل السادس ١٦٨ أ ، ١٦ — ٢٠

(٣) **Madkour,** ***L'Organon d'Aristote dans le monde arabe,*** **Paris, 1934, pp. 237-239.**

وقد أورد ابن سينا جميع هذه الأسس، ولكنه استبعدمنها، و بطريقة حاسمة، أن جميع أنواع المغالطات يمكن ردها إلى الألفاظ . و بذلك تنحصر المغالطات فى الجهل بالقياس الصحيح ، وهو الاتجاه الذى انتهى إليه فى كتبه الأخرى مثل النجاة والإشارات ، مما يجعل السفسطة جزءا من المنطق فى جملته، لاملحقا للجدل . والتصنيف الجديد الذى ذهب إليه فى كتبه المتأخرة يقسم المغالطات قسمين: صورية ومادية. أما الصورية فترجع إلى تركيب القياس وأنه غيرمنتج، وأما المادية فترجع إلى كذب المقدمات . وقد أخذ بهذا التصنيف الجديد معظم المناطقة فيما بعد ، فى الشرق والغرب على السواء[1] .

وهناك أسباب بسيكولوجية للوقوع فى الغلط ، وأخرى إبستيمولوجية . أما الأسباب النفسية فقد عددها أرسطو ، وأهمها الهوى والانفعال مثل الغضب . وهذه الأسباب وإن أوردها ابن سينا ، لم يقف عندها طويلا . أما الأسباب الإبستيمولوجية فهى العجز عن التمييز ، وذلك يرجع إلى المشابهة بين الأشياء[2]. وقد ناقش ابن سينا هذه المسألة مناقشة طويلة، وأرجع إليها السبب فى جميع المغالطات . فهو عندما تعرض لأنواع المغالطات وإمكان ردها جميعا إلى الجهل بالتبكيت، أو إلى الجهل بالقياس الحقيقى والتبكيت الحقيقى يقول : «والسبب المقدم فى ذلك ، وفى كل ضلالة، سبب واحد، وهو: العجز عن الفرق بين الشئ وغيره، والفرق بين النقيض وغير النقيض. فإن الجهل بأن غير النقيض نقيض ، كالجهل بالفرق بين الشئ وهو هو »[3] فكأنه رد

---

(١) انظر مثلا ليارد فى كتابه " المنطق " Liard, *Logique*, Paris و 10ème éd. حيث يقسم المنالطات الى صورية formels ، ومادية matériels ، ثم يتحدث عن المغالطات فى الاستقراء ويورد أهم ما ذكره ستيوارت مل — أما كوهين وناجل فقدقسما المغالطات ، الى صورية ، ومادية ونصف صورية أو لفظية semilogical ، verbal المرجع السابق ص ٣٧٦

(٢) انظر السفسطة لأرسطو — الفصل السابع ١٦٩ أ وما بعدها ، وكذلك الفصل العاشر.

(٣) السفسطة ، ص ٣٢

نوعى المغالطة ، اللفظية والمعنوية ، نعنى تلك التى تصيب التصور وتلك التى تصيب التصديق ، إلى أصل عقلى آخر هو العجز عن التمييز والتفرقة . وهذا هو المبدأ نفسه الذى ذهب إليه ديكارت فى منهجه من وجوب الوضوح والتميز .

يحصل التميز — ويسميه ابن سينا « التفصيل » أيضا — فى الذهن ، وينشأ من تطبيق المعنى على اللفظ ، وعن تصور المعنى فى الذهن وصلته بالشئ الخارجى . ذلك أن اللفظ واسطة بين الشئ الخارجى ، وبين المعنى الذهنى . وعند ما يتعلق المنطق باللفظ يبتعد عن المعنى ، ثم عن الشئ الخارجى ، فإذا شاء أن يلحظ الصواب فعليه أن يلحظ الشئ نفسه . أو بعبارة ابن سينا : « ومن قدر على التميز بادر فلاحظ الشئ نفسه ، وصار سماعه للفظ إشارة فيه على المعنى، حتى إذا قال "موجود وواحد" تميز له مثلا ما هو الأولى بذلك[١] . وعنده أن الألفاظ أكثر تضليلا من المعانى ، « ولذلك ما يقع الغلط فى المحاورة أكثر منها فى الفكرة »[٢] . وهكذا وضع ابن سينا إصبعه على جو السفسطة الأرسطية ، نعنى « المحاورة » ، فقد كان تعليم السوفسطائيين وخطابتهم وبلاغتهم ، وجدل الإيليين ، وفلسفة سقراط وأفلاطون، وحتى أرسطو نفسه، قائمة على المحاورة والمناقشة . وكان طلب المعرفة والعلم فى ذلك العصر لا يعتمد على الكتب بمقدار ما كان يعتمد على السماع. ولم تكن المحاورة اللفظية، أو المناقشة discussion[٣] هى طريقة التعليم فقط ، بل كانت كذلك الطريقة التى يتعاون بها الأصحاب فى البحث عن الحقيقة الفلسفية . فلا غرابة إذن ألا يبحث أرسطو فى معظم كتبه المنطقية فى التفكير الذى يدور فى الذهن ، بل الحجة التى تجرى بين شخصين متنازعين . فهو يبحث فى الطرق التى يمكن بها فى هذه المحاورات اللفظية طلب الحقيقة ، وامتحان الحلول المقترحة للمسائل

(١) السفسطة ، ص ٣٣ (٢) السفسطة ، ص ٣٤

(٣) Joyce, *Principles of Logic*, p. 264.

المطروحة ، وتجنب الحجج الزائفة للمغالطين[1]. و بما أن ابن سينا كان قد نقل المنطق من هذا الجو اللفظى إلى جو « الروية الباطنة » ، أو « النطق الداخلى » ، فقد جعل عنايته بالمعانى وأساليب التفكير ، لا بالألفاظ ، إذ « ليس للمنطق — من حيث هو منطق — شغل أول بالألفاظ إلا من جهة المخاطبة والمحاورة . ولو أمكن أن يتعلم المنطق بفكرة ساذجة ، إنما تلحظ فيها المعانى وحدها ، لكان ذلك كافيا ؛ ولو أمكن أن يطلع المحاور على ما فى نفسه بحيلة أخرى ، لكان يغنى عن اللفظ ألبتة »[2] .

هذا هو السر فى أن ابن سينا هاجم القائلين بأن جميع أسباب الغلط ترجع إلى اللفظ ، ورفض هذا الرأى رفضا باتا ، واتجه بعد ذلك اتجاها جديدا فى قسمة المغالطات إلى صورية ومادية .

٧ — طريقة التحقيق :

رجعنا إلى جميع المخطوطات التى وُصِفَت عند تحقيق مدخل ابن سينا من الشفاء ، وأضفنا إليه مخطوطا رمزنا إليه بحرف « سا » . واتبعت الطريقة ذاتها فى التحقيق[3] .

ولكنا نود أن نضيف بعض الأمور بمناسبة هذا الكتاب .

(ا) رجعنا فى ضبط الأمثلة ، وتحقيق العبارة إلى كتاب السفسطة لأرسطو ، وإلى الترجمة العربية القديمة . و بما أن كتاب ابن سينا

---

(١) المرجع السابق ص ٢٦٥

(٢) الشفاء ، المدخل — ص ٢١ — ٢٢

(٣) الشفاء ، المدخل ، المقدمة ٣٥ — ٤٢

ليس ترجمة لكتاب أرسطو ، فلم نجد ضرورة لذكر المواضع الأصلية من كتاب أرسطو . وفى مقدمتنا نماذج لهذه الموازنة ، التى أفادت فى تصحيح كثير من المواضع ، ووضحت كثيرا من القراءات .

(ب) هناك أسماء أعلام من اليونانيين وردت خلال الكتاب . وقد اضطرب النساخ فى رسم هذه الأعلام . وقد أوردنا فى المتن الرسم القريب للنطق اليونانى ، والجارى الآن فى الاستعمال . مثال ذلك «زينون» فإنه يرسم فى جميع المخطوطات « زنين » .

(ج) وهذا ثبت بالمخطوطات التى رجعنا إليها ورموزها .

ب = بخيت ، رقم ٣٣١ مكتبة الأزهر خصوصية .

بخ = هامش بخيت .

د = دار الكتب ، رقم ٨٩٤ فلسفة .

س = سليمانية (داماد) رقم ٨٢٤

سا = سليمانية (داماد) رقم ٨٢٢[١]

م = المتحف البريطانى رقم ٧٥٠٠

ن = نور عثمانية رقم ٢٧٠٨

ه = المكتب الهندى ٤٧٥٢

أحمد فؤاد الأهوانى

(١) يراجع وصف هذا المخطوط الجديد فى " جوامع علم الموسيقى " من كتاب الشفاء ، المقدمة ص ٢٩

السفسطة

المقالة الاولى